Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol. 31/ No. 11/ 2023 المجلد ٣١/ العدد ١١/ ٢٠٢٣

النقد الثقافي عند الناقد فاضل التميمي

نجاح سلطان كردي أحمد مهدي عطاالله
قسم اللغة العربية/ كلية التربية / الجامعة المستنصرية
njahsltan48@gmail.com

تاريخ استلام البحث: ٥ / ٥ /٢٠٢٣ **تاريخ قبول النشر:** ٢٢/ ٥ /٢٠٢٣ **تاريخ نشر البحث:** ١٤/١١/ ٢٠٢٣

المستخلص:

للناقد فاضل التميمي جهود نقدية مهمة أغنت المكتبة العربية، ولاسيما في مجال النقد الأدبي، إذ قدّمَ مجموعة من الكتب، والبحوث، والدراسات في نقد القصة، والرواية، والسيرة، والرحلة، مفيدا من المناهج النقدية التي تنوعت في دراساته، ويعدّ النقد الثقافي واحدًا من المناهج التي وظّفها الناقد فاضل التميمي في قراءاته النقدية في مجالي القصة والرواية، إذ أفاد من مقولاته في دراسة قصة (كُلُّوش) لرغد سهيل، وقصة (قطرة دم لاكتشاف الجسد) لؤي حمزة عباس، أما في مجال الرواية فقد استند الناقد إلى أسس النقد الثقافي في دراسته رواية (أحببتُ حمارًا) لرغد سهيل، وروايتي (مقتل بائع الكتب) و(ترنيمة امرأة ... شفق البحر) للروائي سعد رحيم.

الكلمات الدالة: النقد الثقافي، فاضل التميمي، عبد الله الغذامي، رغد سهيل، سعد رحيم.

Cultural Criticism of Fadhil Al-Tamimi

Najah Sultan Kurdi Ahmed Mahdi Attallah
Arabic Language Department/ College of Education/ Al-Mustansiriya University

Abstract :

Fadhil Al-Tamimi is an influential literary critic in the Arab world, who has significantly enriched the Arab library with his critical efforts, particularly in the field of literary criticism. Al-Tamimi has presented a vast collection of books, research, and studies that criticize various literary genres, such as Story, Novel, Biography, and Journey, drawing from various critical approaches. In his critical readings of Story and Novel, Al-Tamimi employed cultural criticism, as evidenced by his analysis of Raghad Suhail's "Kalloush: a sound of joy and happiness" and Louay Hamza Abbas's "A Drop of Blood to Discover the Body." Similarly, in his study of Raghad Suhail's "I Loved a Donkey" and Saad Rahim's "The Bookseller's Murder" and "A Woman's Hymn ... Twilight of the Sea" Al-Tamimi relied on the foundations of cultural criticism. This study, conducted by Najah Sultan Kurdi from Al-Mustansiriya University's Arabic Language Department, under the supervision of Ahmed Mahdi Attallah, sheds light on Al-Tamimi's cultural criticism and its application in literary criticism .

Keywords: for this study include cultural criticism, Fadhil Abood, Abdullah Al-Ghadami, Raghad Suhail, Saad Rahim.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المقدمة:

يتناول النقد الثقافي النص الأدبي بوصفه ظاهرة ثقافية، أي إنه لا يُعنى بتتبع جمالية النص وبلاغته، وإنما يهتم يعنى بدراسة الأنساق الثقافية المضمرة، فيكشف عن عيوب الخطاب الثقافي، وعن المؤثرات السياسية، والاجتماعية، والفكرية، والاقتصادية التي تجلت فيه.

يختلف النقد الأدبي عن النقد الثقافي في أن الأول يُعنى بدراسة النص الأدبي دراسة جمالية وفنية، تمكّن من إبراز جمالياته الأسلوبية وطرائق تشكلها، أما النقد الثقافي فيعنى بدراسة العيوب النسقية التي تختفي تحت عباءة الجمالي.[١: ٨]

ومن أبرز النقاد العرب الذين برز النقد الثقافي في كتاباتهم، ودراساتهم النقدية هو الناقد عبد الله الغذامي الذي حاول من خلال هذا النقد " تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتبريره (وتسويقه) بغض النظر عن عيوبه النسقية، إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه."[١: ٨] وهذا ما تجلى في كتابه (النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية) الذي بيّنَ فيه عيوب الخطاب الثقافي في شعر أبي تمام والمتنبي، ونزار قباني، وأدونيس، ولاسيما فيما يتعلق ببروز الأنا المتعالية لديهم، وإسهاماتهم في تجسيد ثقافة المدح القائم على المبالغة والغلو في وصف الممدوح بغية كسب عطاياه، وغير ذلك من العيوب النسقية التي ترسخت في الثقافة العربية، وأُضمرت تحت عباءة الخطاب الجمالي، وهذا ما تجسد في قصائد المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني، ومدح أبي تمام للمعتصم، فالنقد الأدبي يعد قصائد هذين الشاعرين من روائع الشعر العربي بيد أن النقد الثقافي لا يهتم ببلاغة قصائدهما، وإنما يركز على ما تخفيه بلاغة قصائدهما المدحية من عيوب في الأنساق الثقافية.

مشكلة الدراسة:

يعد النقد الثقافي من المناهج النقدية الحديثة التي يستند إليها الباحثون في دراساتهم النقدية، بيد أنه يختلف عن غيره من المناهج في أنه لا يُعنى بدراسة الخصائص الأسلوبية في النص الأدبي، وإنما يسعى إلى الكشف عن الأنساق الثقافية، وهنا تبرز مشكلة الدراسة المتمثلة بالسؤال الآتي: هل يستطيع النقد الثقافي تحقيق نتائج مهمة تبيّنُ الأنساق الثقافية المضمرة وسلطتها على المبدع بمعزل عن بلاغة النص الأدبي، وجمالياته الفنية؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة من خلال تتبعها الدراسات النقدية للناقد فاضل التميمي في مجالي القصة والرواية إلى الكشف عن أهمية النقد الثقافي في الكشف عن تجليات الأنساق الثقافية ودورها في ترسيخ الخطاب الثقافي المضمر الذي تخفيه بلاغة النص الأدبي.

منهج الدراسة:

اتخذ البحث المنهج الوصفي التحليلي منهجًا يستندُ إليه بغية دراسة ما قدمّه الناقد فاضل التميمي من دراسات نقدية في القصة، والرواية، موظفًا النقد الثقافي فيها، وتقديم نقده تقديمًا موضوعيًا ينطلق من الداخل، مبتعدًا عن مرجعيات خارجية، فهذا البحثُ يقوم على تتبع ما تمخضَ عن القراءات النقدية للناقد من تحليلات، وتوصيفها.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وقد بُنيت هذه الدراسة على مبحثين اثنين، هما:

المبحث الأول: النقد الثقافي في مجال القصة عند الناقد فاضل التميمي:

المبحث الثاني: النقد الثقافي في مجال الرواية عند الناقد فاضل التميمي:

المبحث الأول: النقد الثقافي في مجال القصة عند الناقد فاضل التميمي:

حاول الناقد فاضل التميمي الإفادة من مقولات النقد الثقافي في دراساته النقدية للنصوص السردية في مجال القصة، وهذا ما تجلى في قراءته التحليلية لقصة(كُلُّوش) لرغد سهيل، وقصة (قطرة دم لاكتشاف الجسد) لؤي حمزة عباس، وذلك على النحو الآتي:

١- قصة (كُلُّوش):

سعى الناقد فاضل التميمي في نقده قصة (كُلُّوش) إلى الكشف عن عيوب النسق الثقافي المضمر، إذ إن أي نصٍّ ثقافي يتضمن نسقين: نسق ظاهر، ونسق مضمر، النسق الأول يُعنى به النقد الأدبي فيتتبع بلاغته، وجمالياته، أما النسق الثاني فهو الذي يتولى النقد الثقافي الكشف عنه من خلال إبراز ما يتضمنه من عيوب في الأنساق الثقافية.

يبدأ الناقد دراسته النقدية مُبيّنًا أن المنهج الثقافي هو المنهج الذي سيتبعه في تحليله قصة (كُلُّوش)، فتحدثّ بإيجاز عن مفهوم النقد الثقافي الذي يسعى إلى الكشف عن تأثير الثقافة وسلطتها على الخطاب، وهي سلطة تعدُّ قوة مهيمنة تبرز في الأنساق المضمرة، وتتخفي خلف الأنساق الظاهرة، ويبيّنُ أن أهم ما يميّز النقد الثقافي يتمثل في أنه نقدٌ لا يُعنى بإطلاق الأحكام المعيارية،[٢: ١٢] إذ إن غايته لا تتمثل في أن يقدم رأيًا أخلاقيًا أو جماليًا كما هو الحال في النقد الأدبي، وإنما يعنى بإبراز الأنساق الثقافية المضمرة، وإبراز عيوبها التي تتخفى خلف بلاغة النص وجمالياته الفنية. فضلًا عن "تقصي مظاهر الثقافة، وطرائق اتصالها بالنصوص، والظواهر المختلفة من نتائج تحولات ما بعد الحداثة التي ضربت المركزيات في عقر دارها، وأدارت الرؤوس نحو هوامش كانت مقصية عن التناول والبحث."[٢: ٨]

ثم يستعرض الناقد فاضل التميمي في دراسته النقدية الشروط السبعة التي يتطلبها النسق الثقافي كما ذكرها الناقد عبد الله الغذامي، وهي:

١- إن النسق يتحدد من خلال وظيفته في وضع محدد ومقيد، وذلك عندما " يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب، أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضًا وناسخًا للظاهر."[١: ٧٧]

٢- الكشف عن الدلالة النسقية وتأويلها.[١: ٧٨]

٣- إن دلالة النسق ليست من صنع المؤلف، وإنما هي دلالة "منغرسة في الخطاب، مؤلفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء."[١: ٧٩]

٤- طبيعة النسق سردية، ويتحرك في حبكة متقنة، ويستخدم أقنعة للاختفاء،أهمها قناع الجمالية اللغوية.[١: ٧٩]

٥- النسق الثقافي هو نسق تاريخي، وراسخ، وله الغلبة دائمًا.[١: ٧٩]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

٦- هو جبروت رمزي يقوم " بدور المحرك الفاعل في الذهن الثقافي للأمة، وهو المكون المخفي لذائقتها ولأنماط تفكيرها، وصياغة أنساقها المهيمنة."[١: ٨٠]

٧- وجود نسقين متعارضين في نص واحد، والنص هنا يعني (الخطاب) " أي نظام التعبير والإفصاح، سواء كان في نص مفرد، أو نص طويل مركب، أو ملحمي، أو في مجموع إنتاج مؤلف ما أو في ظاهرة سلوكية أو اعتبارية."[١: ٨٠]

هذه هي شروط النسق الثقافي كما أوردها الغذامي في كتابه، وقد ذكرها الناقد فاضل التميمي باختصار في دراسته النقدية لقصة (كُلُّوش)، لتكون مدخلًا إلى قراءته النقدية للقصة، فيبيّنُ أن استهلال القصة التي بدأت به الكاتبة على لسان (ذبابة). يحيل إلى نسقٍ مضمر "يشير صراحة إلى صغر حجم الذبابة، وسلبية وجودها في الحياة التي قادتها لأن تكون ناقلة للأمراض ومسببة لها." [٢: ١٢]

يرى الناقد أن النسق المضمر الذي يخفيه النسق الظاهر في القصة يجسد الشروط السبعة التي حددها الغذامي في كتابه، فالنسق الظاهر في الاستهلال يعد نقيضًا للنسق المضمر الذي بيّنَ الناقد دلالاته، وهما نسقان "من صوغ الثقافة المجتمعية، لا من صوغ مثقف معين، وأن طبيعة النسق كانت سردية ذات حبكة متقنة" [٢: ١٢]. وكذلك فإن النسق المضمر كان بارعًا في التخفي، وله جبروت رمزي في الذهن الثقافي الخاص في المجتمع، وهو فضلًا عن ذلك نسقٌ مستقرٌ في خطاب القصة. [٢: ١٢]

وخلص الناقد فاضل التميمي من قراءته النقدية لقصة (كُلُّوش) إلى تأكيد انفتاح القاصة رغد سهيل على الخطاب الثقافي، وعدِّ هذه القصة من القصص التي تنتمي إلى أدب ما بعد الحداثة، ولاسيما أن القاصة قد حضرت في سرد القصة على لسان السارد مرتين: الأولى حين ذكر السارد أن القاصة سمعت كلام سوء وحاولت أن تترجمه إلى قصة، أما المرة الثانية فقد حضرت القاصة في السرد في نهاية القصة عندما أشارت "إلى هذيان الذبابة التي تدعي أنها تتذكر كل شيء وعمر ذاكرتها أقل من دقيقة." [٢: ١٢]

وبذلك أنهى الناقد فاضل التميمي قراءته النقدية لقصة (كُلُّوش) للكاتبة رغد سهيل، وعلى الرغم من أهمية ما جاء فيها، إلا أنها بدت موجزة ومقتضبة، ولم تشر إلى مقولات مهمة تعدُّ من الدعائم الرئيسة في النقد الثقافي مثل: الجملة الثقافية، والمجاز الثقافي، والتورية الثقافية، واكتفت بتحديد الشروط السبعة في النسق الثقافي وتطبيقها على القصة، ومع ذلك فإن هذه الملاحظات لا تقلل من قيمة القراءة النقدية وأهميتها، ولا سيما أنها اتخذت من النقد الثقافي منهجًا لها في وقتٍ تقلُّ فيه الدراسات النقدية التي تتخذُ من النقد الثقافي منهجًا لها، ولعلَّ ما يؤكد ذلك أن الناقد فاضل التميمي لم يقدّم قراءات نقدية تتخذ من النقد الثقافي مسارًا لها إلا قراءته لقصة (كُلُّوش).

٢- قصة (قطرة دم لاكتشاف الجسد) للقاص لؤي حمزة عباس:

أفاد الناقد فاضل التميمي في دراسته النقدية لهذه القصة من مقولات النقد الثقافي، ولاسيما فيما يخص إشكالية الجسد وعلاقته بـــ (الأنا) التي قدمها القاص في قصته، إذ رأى الناقد أن فكرة الجسد شغلت "القصة كلها منطلقة من حدود (الإحساس) به، فالسارد يعرض ما يعرف بناء على ما شاهد، وخبر وتمثل معترفًا بالجسد بوصفه إشكالية صادمة في لحظة خاصة، وكثيفة هي اللحظة الفاصلة، أو الفارقة بين الروح والجسد."[٣: ٦٤] (سرديات عراقية).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وبيّنَ الناقد أن القاص وظف التقنيات السردية في تتبعه إشكالية الجسد، ولا سيما تقنية (الاسترجاع) "التي يبدو الجسد فيها وقد تحرر تمامًا من قيوده"[٣: ٦٦] وأشار إلى أن حضور جسد (الخالة) في القصة يحمل دلالات تعبر عن الفقد والموت، إذ فقدت (الخالة) "كل شيء بفقدها الجسد الذي استباحته وجوه بشرية ممسوخة وحيوانات وصخور مفتوحة الأفواه ترتسم أمامه في خطوات على اللوح."[٣: ٦٨]

ومن القضايا المهمة التي أشار إليها الناقد في دراسته النقدية فكرة التوازي بين (أنا السارد) و(جسده) فقد تجسدت هذه الفكرة في مسار القصة وتشكيلها، إذ كان الجسد ينفصل عن أناه والأجساد الأخرى كلما حلم بالسفر، بيد أن هذه الفكرة تجسدت برؤية غرائبية "تتيح للجسد نفسه أن يدخل في الأجساد كلها في إشارة تأويلية تحيل على سمتي النمو والتناسخ المعروفتين.[٣ :٧١]

وانتقل الناقد فاضل التميمي بعد ذلك إلى الوقوف على سمات لغة القصة، فبيّنَ شعريتها من خلال انفتاحها على نسق التضاد، كما أشار إلى شعرية التضاد "لتحيل على نمط من التشكيل السردي المنزاح من مجاله اللغوي الاعتيادي إلى مجاله الفني التداولي.[٣: ٧٣]

وانتهى الناقد من دراسته النقدية لهذه القصة بتأكيد أن قصة (قطرة دم لاكتشاف جسد) "قصة مركبة كتبها مؤلفها تحت وطأة الرعب وهو ينظر إلى الأجساد المتساقطة، وقد أخذ الدم يسيل منها."[٣: ٧٤]

المبحث الثاني: النقد الثقافي في مجال الرواية عند الناقد فاضل التميمي:

استند الناقد إلى النقد الثقافي في نقد روايتي (أحببتُ حمارًا) للروائية رغد سهيل، ورواية (مقتل بائع الكتب) ورواية (ترنيمة امرأة... شفق البحر) لسعد رحيم، وذلك وفق ما يأتي:

١- رواية (أحببت حمارًا) للروائية رغد سهيل:

تؤدي عتبة العنوان في الدراسات النقدية التي قدمها الناقد فاضل التميمي دورًا مهمًا يسهم في الكشف عن مضموناتها، ففي عنوان هذه الدراسة (حضور النسوية وانكسار وعيها في رواية أحببت حمارًا لرغد سهيل) ما يدل على أن الناقد سوف يتناول موضوع النسوية الذي يعد من الموضوعات المهمة التي يُعنى بها النقد الثقافي، وهذا ما تجلى من خلال تتبعه تجليات الفكر النسوي في الرواية التي برزت في التصدير، وفي خطاب الساردة، والوصف، ومواقف الشخصيات، وعلاقاتها فيما بينها، فضلًا عما تضمنته الرواية من رموز.

فيما يخصُّ تصدير الرواية، رأى الناقد أن الروائية قد تبنت في تصدير روايتها "مقولة صادمة للوعي الذكوري المحافظ."[٤: ٥١]

وحرصت على أن تمثل الساردة في روايتها قمة الوعي الإيديولوجي من خلال_عنايتها بقضية المساواة مع الرجل، واستدل الناقد على ذلك بقول الساردة: " لا أحد يستطيع فصلي عن بنات حواء بذريعة حب الحمار! النظرية النسوية الحديثة تقول إذا انشققت لا يعني أنك لست منها."[٥ : ١٥] (أحببت حمارا) وقد وظّف الناقد قول الساردة وإحالتها صراحةً إلى النظرية النسوية ليؤكد ما تضمنته الرواية من تردد مقولات التعدد الثقافي، ومناصرة التحرر من تبعية مؤسسات القهر الاجتماعي والتمييز بين الرجل والمرأة القائم على أساس الجنس فحسب.[٤ :٥٢] وكذلك عبرت الساردة عن رغبتها "في تخليص الجسد الأنثوي مما لحق به من أوهام وتوصيفات"[٤ :٥٥] وهذا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

حسب ما ذهب إليه الناقد يدل "على وعي بالفكر النسوي الذي يريد أن يرتقي بالجسد الذي لحقته تهمة الدنس إلى مصاف الروح التي تمتلك سر قدسيتها."[٤ :٥٥]

أما الوصف فقد رأى الناقد أنه أسهم في إبراز الوضع المأساوي الذي تعيش في ظله النساء، وقد تجسد ذلك من خلال الشخصيات التي قدمتها الرواية، فأم صابر" تشتكي طفولة العباءة الملتفة على جسدها كناية عن محاصرة الفكر الذكوري لها في أول عهدها في الحياة."[٤ :٥٣] وغيرها من الشخصيات النسوية التي استدل الناقد على واقعها المزري في مجتمعها، مثل شخصية دموع، وشخصية الأم، وفهمية التي مثلت في مواقفها "التفكير النسوي الناقد لسلطة الرجل على المرأة."[٤: ٥٤]

وعلى الرغم مما تضمنته الرواية من تجليات الفكر النسوي، بيد أن هذا الفكر لم يخلُ من الانكسار بسبب عجز المرأة في بعض المواضع من الرواية، إذ بيّنَ الناقد بحسه النقدي أن الساردة بدت في وضع ضعيف عندما أدركت حاجتها إلى الآخر[٤ :٥٤] كما في قولها: "هدأت خطواتي، وأحسست بعدم اكتمالي، نصفي الذي يحميني غائب، وأنا في عالم كل ما فيه يتهددني."[٤ :٥٤]

واستنادًا إلى ما تقدم، أنهى الناقد دراسته لرواية (أحببت حمارًا) بخاتمة بيَّنَ فيها أن هذه الرواية قد دافعت عن مبادئ النسوية، بيد أن ذلك لا يعني عدم بروز مواضع تراجعت فيها إيديولوجيات بعض الشخصيات "التي ارتضت فيها المرأة أن تحتل موقعًا أدنى في المجتمع الذكوري."[٤ :٥٤]

وبذلك أنهى الناقد فاضل التميمي دراسته النقدية موظفًا الدراسات الثقافية في تتبعه تجليات الفكر النسوي في خطاب الساردة، وفي مواقف الشخصيات، وفي الوصف، كما أشار إلى انكسار الخطاب النسوي في بعض المواضع، ليكون عنوان الدراسة (حضور النسوية وانكسار وعيها في رواية أحببت حمارًا لرغد سهيل) مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بمضمونها.

٢- مقتل بائع الكتب لسعد رحيم:

انتهج الناقد فاضل التميمي في دراسته المعنونة (مقتل بائع الكتب من تمثل واقعة القتل إلى تفكيك حالة المثقف) نهجًا مختلفًا عما بدا عليه نهجه في دراستيه السابقتين، وإن كان لم يخرج بها عن إطار الدراسات الثقافية التي أفاد منها في قراءته لروايتي (الصندوق الأسود) و(أحببت حمارًا) ومما لا شك فيه أن ذلك ليس بغريب، إذ إن موضوع الرواية وتقنياتها السردية قد تؤدي دورًا مهمًا في تحديد النهج الذي يتبعه الناقد في نقده، وهذا ما تجسد في رواية (مقتل بائع الكتب) التي تبرز فيها إشكالية المثقف بوصفها الدعامة الرئيسة للرواية بخلاف الروايتين الآنفتين اللتين تناولتا موضوعات ترتبط بالفكر النسوي.

وبناء على ذلك، تناول الناقد في دراسته النقدية لرواية (مقتل بائع الكتب) القضايا الآتية:

- **تمثل الرواية:**

يعرّف الناقد التمثل الروائي بأنه شكلٌ " من أشكال قراءة تجربة شخص ما، أو بنى ثقافية معينة، أو ظواهر اجتماعية ذات غطاء سياسي: اقتصادي معين"[٤ :٦٣] وعلى هذا الأساس، بنى الناقد تحليله مقولات الرواية، وتفوهات شخصياتها، وتفكيك الحالة الثقافية لبائع الكتب، بدءًا من العنوان الذي تضمن محورين، أولهما مرتبط بحادثة القتل، وثانيهما يتعلق بشخصية بائع الكتب (محمود المرزوق). كما أشار الناقد إلى أن العنوان "حمل سمة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ثقافية تنافرا تنافر فيها عنصرا (القتل) و(بيع الكتب) الأول حمل دلالة التغييب والموت المؤكد والسكون، والثاني أحال على مهنة الارتزاق بالعلم والأدب."[٤ :٦٤]

- **التعريف ببائع الكتب:**

حرص الناقد على التعريف بشخصية بائع الكتب بغية الوصول بدراسته النقدية إلى غايتها المتوخاة، والتي تتمثل بتعريف المتلقي بهذه الشخصية لما لها من دور كبير في الرواية بوصفها الشخصية الرئيسة فيها والتي تمثل شخصية المثقف، الأمر الذي من شأنه أن يبين أبرز ما تضمنته الرواية من مقولات اجتماعية وسياسية وفكرية، وعلى هذا الأساس، قدمّ الناقد سيرةً مختصرة لشخصية بائع الكتب، فذكر أن اسمه محمود المرزوق، وأنه ينتمي إلى أسرة برجوازية في بعقوبة، وكان طالبًا في كلية الفنون الجميلة في الستينيات من القرن الماضي، وأنه سُجنَ في مرحلة من مراحل حياته في سجن (نقرة السلمان) قبل أن يسافر إلى باريس، ومن ثم عودته إلى بعقوبة سنة ١٩٨٩، كما أشار الناقد إلى أن هذه الشخصية كانت تحب الكتب الأثمة، والنساء الآثمات، والمدن الأثمة.[٤ :٦٥]

- **تمثل حالة القتل:**

تحت هذا العنوان يطرح الناقد فاضل التميمي سؤالًا مهمًا، وهو: هل أدانت الرواية جريمة القتل؟[٤ :٦٦] وللإجابة على هذا السؤال، أخذ الناقد في استعراض الأحداث المرتبطة بمقتل شخصية بائع الكتب، مُبيّنًا أن قتله " كان خطأ، وأنه لم يكن المقصود"[٥ :٦٦] واستنادًا إلى ذلك رأى الناقد أن موت (المرزوق) قد نزع عنه صفة الضحية، ليخلص من ذلك كله إلى الإجابة على السؤال الذي طرحه، إذ بيّنَ أن الرواية قد أدانت القتل بجميع أشكاله سواء أكان على يد الأمريكان، أم على يد الجماعات الإرهابية.[٤ :٦٧]

- **تمثل صورة المثقف الستيني:**

رأى الناقد فاضل التميمي أن رواية (مقتل بائع الكتب) فككت بوساطة متنها " طبيعة المحتوى الثقافي، ونقدها في ضوء ما تُقدّم تلك الحياة من ثقافات وخبرات"[٤ :٦٨] وهو نقدٌ لا يقتصر على صورة المثقف في مرحلة الستينيات، وإنما يتجاوزه إلى ما بعد ٢٠٠٣، كما أنها قدمت فكرة عن "طبيعة التفكير الثقافي العام بهدف تفكيك مفهوم الفنان، والفن، والأدب، لكشف الغطاء الشفيف عن سطح الحياة الثقافية."[٤ :٦٨] وبناء على ذلك، حرص الناقد على تحليل دلالة اسم الشخصية الرئيسة (محمود المرزوق) فبيّنَ أن اختيار الروائي لهذا الاسم كان اختيارًا اعتباطيا، بعيدًا "عن النخبوبة قريبًا من الشعبية ليفتح باب التحليل نحو مصراع التناغم الثقافي الشعبي الذي عاشه البطل في مجتمع الرواية. "ثم انتقل الناقد إلى الحديث عن صورة (محمود المرزوق) فذكر أن الرواية قدمته بوصفه ماركسيًا غير منتمٍ وانغماسه في الوقت نفسه بالثقافة الوجودية،[٦: ٣١] (مقتل بائع الكتب)، كما تحدث الناقد عن المظهر الخارجي للشخصية، ليبيّنَ بعد ذلك أن صورة المرزوق تحيل "على شيء من شخصية زوربا اليوناني فيما يمكن التقاطه من صفات التمرد، والعنفوان، والنساء، واللانتماء، والكتب، والأسطرة السلوكية الصعلوكية، والسفر."[٤: ٧٠] وأن هذه الشخصية كما قدمها سرد الرواية تدل على "محاكاة مصطنعة هدفها التميز الاجتماعي بعيدًا عن طبيعة الوقائع الثقافية."[٦: ٧٠] ثم تطرق الناقد إلى دراسة النتاج الأدبي والفني لشخصية محمود المرزوق فتحدث عن خواطر الشخصية وذكرياتها، وتناول يومياتها "بوصفها سردا سيريًا يخضع خضوعًا كاملًا لسلطة الزمن اليومي."[٤ :٧٢] كما تحدث عن لوحاته التشكيلية، وتفوهات أصدقائه التي "أسهمت في تقديم

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

صورة نمطية سالبة عن أخلاقه ووعيه، وثقافته أيضًا"[٤ :٧٥] ليخلص الناقد فاضل التميمي من دراسته النقدية لرواية (مقتل بائع الكتب) لسعد رحيم بمجموعة من النقاط ذكرها في خاتمة دراسته، وأهمها:

- إن رواية (مقتل بائع الكتب) أبرزت مساوئ الاحتلال الأمريكي، وظاهرة الاغتيالات، والخطف العمد، والتهجير القسري، وتفجير السيارات المفخخة.[٤ :٨٠]
- حاولت الرواية تفكيك حال الثقافة في مدينة بعقوبة من خلال شخصية محمود المرزوق التي أرادت صناعة نجم كبير في الفن والأدب، بيد أنها فشلت في ذلك، " لأن صناعة الفن الحقيقي، والأدب تتمان في الحياة ضمن شروط الوعي الخاص بالفن والحياة، وليس بالمحاكاة القاصرة."[٤ :٨٠]
- إن الإدهاش والتأثير في الفن والأدب لا يتحققان إلا بتحقيق شروط منها الموهبة، والتجريب والمران، وليس بالتمني ومحاكاة إنجاز الآخر.[٤ :٨١]

وبناء على ذلك، فإن أهمية الدراسة الثقافية لرواية (مقتل بائع الكتب) التي قدمها الناقد فاضل التميمي تتجلى في شموليتها التي تمثلت في تحليل الرواية تحليلًا مبنيًا على قراءة متأنية، وواعية، ومعمقة، وهذا ما تبدى من خلال وقوف الناقد على شخصية محمود المرزوق، تحليلًا ونقدًا، بدءًا من دلالة الاسم الذي اختاره الروائي لها، مرورًا بالحديث عن ثقافتها، واهتماماتها، ومظهرها الخارجي، وانتهاءً بدراسة إنتاجاتها الفنية والأدبية، وهذا ما أفضى إلى تفكيك حالة المثقف من خلال تمثل واقعة قتل محمود المرزوق، وهذا ما سعى الناقد إلى تحقيقه كما دل عنوان دراسته النقدية.

٣- رواية ترنيمة امرأة... شفق البحر لسعد رحيم:

أراد الناقد فاضل التميمي في دراسته النقدية التي قدمها عن رواية (ترنيمة امرأة ... شفق البحر) أن يتناول قضيتي الاستشراق والحوار الحضاري، وهذا ما بدا من خلال عنوان الدراسة وهو (ملامح الاستشراق والحوار الحضاري في رواية ترنيمة امرأة.. شفق البحر لسعد رحيم) وكما هو معروف، فإن قضيتي الاستشراق والحوار الحضاري ينتميان إلى حقل الدراسات الثقافية، وهذا ما أكده الناقد في مقدمة دراسته عندما بيّنَ أنه يريد دراسة مضمون هذه الرواية برؤية الدرس الثقافي.[٤ :٨٥]

بدأ الناقد دراسته بتحديد مفهوم الاستشراق لغةً واصطلاحًا، ليبيّنَ بعد ذلك أن الاستشراق "بنية مركبة الاتجاهات هدفها معرفة الشرق، والكشف عن ثقافاته بوساطة الحفر المعرفي الذي يعتمد القراءات المعمقة للمدونات العربية المختلفة، فضلًا عن الاطلاع المباشر."[٦: ٨٦] ثم أشار إلى أن منتصف القرن التاسع عشر يمثل الانطلاقة الكبرى للاستشراق، مستدلًا على ذلك بتأكيد إدوار سعيد. [٤ :٨٦]

بنى الناقد دراسته النقدية على قسمين رئيسين تضمنهما العنوان وهما ملامح الاستشراق، والحوار الحضاري، وقبل أن يخوض في الحديث عن هذين الموضوعين، تحدثَ عن الرواية وأطر التمثيل الأدبي، فطرح سؤالين مهمين: هل يمكن للراوية أن تمثل واقعًا ماضيًا في حياة شعب، أو أمة؟ وهل يمكن الركون إلى الرواية لفهم الماضي بعدما صار في ذمة التاريخ؟[٤ :٨٦] وفي سياق الإجابة على هذين السؤالين أكد الناقد "أن الرواية بتمثيلها السردي لما جرى تستطيع أن تقدم قراءة جديدة للماضي غير خاضعة لثبات النظرة الأحادية التي ترى الواقع ولا تمثله."[٤ :٨٦] مستشهدًا على ذلك بما ذهب إليه عبد الله إبراهيم بأن الرواية من أكثر نظم التمثيل اللغوية من حيث

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

إمكاناتها "في خلق عوالم متخيلة توهم المتلقي بأنها نظيرة العوالم الحقيقية، ولكنها تقوم دائمًا بتمزيقها، وإعادة تركيبها بما يوافق حاجاتها الفنية، دون أن تتخلى في الوقت نفسه عن وظيفتها التمثيلية."[٨: ٣٨٦] (موسوعة السرد العربي)

وفي معرض هذا السياق أشار الناقد إلى أن رواية (ترنيمة امرأة .. شفق البحر) قد سبقتها روايات تناولت موضوع الاستشراق، والعلاقة بين الشرق والغرب، منها: (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم، و(الشرق شرق) لفؤاد شايب، و(قنديل أم هشام) ليحيى حقي، أما في العراق فتعد رواية (السابقون واللاحقون) لسميرة المانع "تمثيلًا سرديًا لحياة امرأة عراقية عاشت في لندن"[٩ :١٠٥] (الرواية العربية والحضارة الأوربية)

وبناءً على ذلك، تناول الناقد فاضل التميمي ملامح الاستشراق في رواية (ترنيمة امرأة... شفق البحر) من خلال التعريف بشخصية (كلوديا) بوصفها تجسيدًا لملامح الاستشراق في الرواية، فعمد إلى ذكر أبرز سماتها، ومواصفاتها، وثقافتها، وهواياتها، ورغباتها، وأحلامها، وخلص من ذلك إلى أن سمات هذه الشخصية، ومؤهلاتها الثقافية والمعرفية "تحيل على أن شخصيتها قريبة من الفكر الاستشراقي، أو هي راغبة فيه، أو هي مستشرقة، فقد استطاعت الرواية أن تقدّم نسقها الخاص بدقة، حتى حلمها الرومانسي كان مرتبطًا بفضاء الليالي العربية تأكيدًا على تقديم الصورة الخاصة بها بما يقربها من أجواء الشرق، وشخصية سامر."[٤ :٩٠]

وبعد ذلك، انتقل الناقد إلى الحديث عن شخصية (سامر)، مُبيّنًا أن الرواية قدمته بوصفه رجلٌ شرقي، لا يتخلى عن رومانسيته، يغار كثيرًا. [١٠ : ١١٢-١١٦-١٤٨] (ترنيمة امرأة) وبذلك مثلتْ هذه الشخصية صورة الشرق في عين (كلوديا) التي رسمت صورته في نسق كلي يحال" على فضاء التخلف، وانحطاط الشرقيين، والبؤس"[٥ :٩٣] وهذا يعني أن الاستشراق عند (كلوديا) هو صناعة أوربية، أي إن (كلوديا) "مثلت في الرواية نمطًا نت التفكير الاستشراقي الجديد الذي يريد أن يصنع للشرق صورته الغرائبية."[٤ :٩٤] وعلى هذا الأساس، أكد الناقد أن تمثيل الملامح الاستشراقية في الرواية استند إلى تمثيل سابق للاستشراق في الثقافة الأوربية الذي كان في النهاية " تواترًا استطراديًا يملك تأريخًا، وحضورًا مؤسساتيًا خاصة به."[١١ :٢٧٣] وفي هذا السياق، طرحَ الناقد في دراسته سؤالين مهمين، الأول يتعلق بسبب اختيار الروائي الجنسية الإيطالية جنسية لشخصية (كلوديا)، أما الثاني فهو: هل أعطت الرواية صورة واضحة، ودقيقة لــ كلوديا المستشرقة؟ فيما يخص السؤال الأول رأى الناقد أن اختيار السارد إيطاليا كان موفقًا، لأن إيطاليا" أعرق أمم الغرب التي اتصلت بالشرق الأدنى اتصالًا وثيقًا منوعًا"[١١ : ١/٤٠٥] (المستشرقون) وهنا لابد من الإشارة إلى أنه على الرغم من عراقة الحضارة الإيطالية واتصالها بالشرق إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون مسوغًا مقنعًا لاختيار السارد إيطاليا دون غيرها من الدول الأوربية، إذ يمكن أن يكون هذا الاختيار اعتباطيًا، أو أن الروائي ربما عاش تجربة ما في إيطاليا، وربما يكون السبب غير ذلك.

أما فيما يتعلق بالسؤال الثاني الذي طرحته الدراسة النقدية، فقد ذهب الناقد إلى أن الرواية "سكتت عن التفصيلات الخاصة بمسائل الاستشراق التي هي من صلب سيرة (كلوديا) الشخصية"[٤ :٩٥] بيد أن هذا السكوت له ما يسوغه، إذ إن الرواية ليست رواية سيرة، أو رواية هم استشراقي، وإنما هي بوح إنساني يمس العلاقة بين الشرق والغرب.[٤ :٩٥]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الحوار الحضاري:

بدأ الناقد فاضل التميمي حديثه عن الحوار الحضاري في رواية (ترنيمة امرأة .. شفق البحر) بالكشف عما يعنيه مصطلح الحوار الحضاري، إذ رأى أن هذا المصطلح "يشتمل على رؤى سياسية، وأخرى ثقافية ذات طابع فكري منظم يحيل على متطلبات حضارية فرضتها طبيعة المجتمعات التي تريد أن تتعايش على الرغم من اختلافاتها الثقافية، والإثنية في عالم اليوم."[٤ :٩٦] وانطلاقاً من ذلك، بدأ الناقد حديثه عن الحوار الحضاري الذي عدّه ثيمة من ثيمات رواية (ترنيمة امرأة... شفق البحر) التي استطاعت أن تشير "إلى حالة متخيلة تستند إلى الحوارات التي تجري بين اثنين أو أكثر"[٤ :٩٦] وهذا ما تجسد من خلال الحوارات بين شخصيتي (سامر) و(كلوديا) التي تحيل على نمطين من التفكير أو التوصيف بين عالمين متناقضين: عالم الشرق وعالم الغرب، وهذا ما تبدى من خلال الحوارات التي استشهد بها الناقد في دراسته، ففي سياق تعليقه على إحدى الحوارات بين (سامر) و(كلوديا) حول (مصطفى سعيد) الشخصية الرئيسة في رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) أشار الناقد إلى أن (سامر) المنهزم من وطنه لا يمكن أن يكون منتصرًا في حواره مع (كلوديا)، ولذلك " بدا أمامها ناقص الحجة، يتخندق وراء كومة قش لا تقيه شر الدفاع عن نفسه، تحاصره الغربة، وتزدحم في عينيه الإشكالات، وينقصه إثبات وجوده."[٤ :٩٨]

ومما يثير الانتباه في حديث الناقد فاضل التميمي عن الحوار الحضاري أنه عمد إلى سوق أمثلة كثيرة للحوارات بين شخصيات الرواية، إذ إنه لم يكتفِ بالاستشهاد بالحوارات التي جرت بين (سامر) و(وكلوديا) وإنما استشهد أيضًا بحوارٍ حدث بين (سامر) و(ألبرتو) والد (كلوديا)، فضلًا عن إشارته إلى شخصيات أخرى مثل (مايكل) و(نيكول) و(روبرت) و(كاترين)، وهي شخصيات مثلت، كما رأى الناقد، "بؤرة ثقافية تريد أن تتآلف فيما بينها لغرض صياغة مشروع تفاهم، لكن المشكلة أنهم جميعًا مصابون بهوس الدفاع عن حضاراتهم، ومتمسكون بأيديولوجيا ليس من السهولة تغييرها."[٤ :١٠١]

وبعد عرضِ الناقد لمجموعة من الحوارات بين الشخصيات الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة، خلصَ إلى أن الحوار بينهم كان "معقدًا،وأدى بالنتيجة إلى انقطاعه لسبب بسيط يتعلق بتمسك كل طرف بأصول ثقافته."[٤: ١٠٥]

وبذلك يكون الناقد قد أنهى حديثه عن الحوار الحضاري في رواية (ترنيمة امرأة...شفق البحر) ليختم دراسته النقدية بجملة من النتائج، أهمها أن هذه الرواية قدّمت نمطين من الأفكار التي قامت على رؤيتين مختلفتين، مثلتْ الرؤية الأولى أفكار شخصية (سامر)"التي تتركب من سياقات سردية تنتمي إلى الماضي."[٤: ١٠٥] أما الرؤية الثانية، فهي أفكار الشخصيات الغربية التي تتعامل مع الواقع تعاملًا يستند إلى المصالح وقيم العلم، وأكد الناقد في خاتمة دراسته الطبيعة الاحتجاجية في الخطاب الحواري بين الشخصيات، وسبب ذلك يعود إلى أن حجاجية الحوارات ليست من نتاج الشخصيات، وإنما "هي خطابات تمّ انتاجها، وأعيد تسويقها في المجتمعات التي ينتمي إليها المتحاورون."[٥ :١٠٦] وكذلك أشار الناقد إلى وجود أزمة تعتلي ذاكرة المثقف العراقي، وأخرى تنمط ثقافته بما يجعلها عبئًا ثقيلًا على حاضره."[٤ :١٠٦]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الخاتمة:

خلص الناقد فاضل التميمي في دراساته النقدية التي وظّف فيها النقد الثقافي إلى جملة من النتائج المهمة، إذ بيّنَ تأثير الثقافة المجتمعة في قصة (كُلُّوش)، مؤكدًا أن النسق المضمر كان بارعًا في التخفي، وله جبروت رمزي في الذهن الثقافي الخاص في المجتمع.

وقد أكد الناقد أن رواية (أحببتُ حمارًا) قد دافعت عن مبادئ النسوية، بيد أن ذلك لا يعني عدم بروز مواضع تراجعت فيها إيديولوجيات بعض الشخصيات ارتضت أن تحتل المرأة موقعًا أدنى في المجتمع الذكوري.

قدّمت رواية (ترنيمة امرأة.. شفق البحر) نمطين من الأفكار التي قامت على رؤيتين مختلفتين، مثلتْ الرؤية الأولى أفكار شخصية (سامر) التي تتركب من سياقات سردية تنتمي إلى الماضي. أما الرؤية الثانية، فهي أفكار الشخصيات الغربية التي تتعامل مع الواقع تعاملًا يستند إلى المصالح وقيم العلم. وقد أشار الناقد إلى وجود أزمة تعتلي ذاكرة المثقف العراقي، وأخرى تنمط ثقافته بما يجعلها عبئًا ثقيلًا على حاضره.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر

[١] النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط٣، ٢٠٠٥.

[٢] المجموعة القصصية (كُلُّوش) وفاعلية النسق الثقافي، فاضل التميمي، جريدة القدس العربي، ع ٩٠٠٩، ١٧ تشرين الثاني، ٢٠١٧.

[٣] سرديات عراقية، إضاءات في القصة والرواية والنص، فاضل عبود التميمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١٢.

[٤] دراسات ثقافية في الرواية والرحلة والمقالة، فاضل التميمي، دار مجدلاوي، الأردن، ط١، ٢٠٢١.

[٥] أحببت حمارا، رغد سهيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٥.

[٦] الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء: إدوارد سعيد، نقله إلى العربية كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٢، ١٩٨٤.

[٧] مقتل بائع الكتب، سعد رحيم، دار سطور، بغداد – العراق، ط١، ٢٠١٦.

[٨] موسوعة السرد العربي، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

[٩] الرواية العربية والحضارة الأوربية، شجاع مسلم العاني، الموسوعة الصغيرة، العراق،ط١، ١٩٧٩.

[١٠] ترنيمة امرأة... شفق البحر، سعد رحيم، دار فضاءات، عمان، ط١، ٢٠١٢.

[١١] المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٨٠.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq